وكلوا الطعام بصنع كعام ولا جعلوا بينهم وبين الارض شيئا يفرشونه امركتهم
عاملين بكتاب الله وسنة رسوله وكانوا اذا اجنهم الليل قاموا على اقدامهم يصلون
الليل كله يناجون ربهم واذا سجدوا ايفرشون وجوههم ودموعهم تجري على خدودهم
يدعون مولاهم في فكاك رقابهم من النار واذا عملوا الحسنة فرحوا بها وداموا
عليها وفي شكرها وسالوا الله ان يتقبلها منهم واذا عملوا السيئة ساءتهم
وندموا عليها وحزنوا وانتهوا منها وسالوا الله ان يغفرها لهم وما زالوا
كذلك حتى لقوا الله عز وجل وبعد ما اسلموا من الذنوب وما نجوا الا بالمغفرة
وذكر في الخبر ان قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه وكان
فيهم فتى نحيل الجسم مصفر الوجه فقال له عمر يا فتى ما الذي بلغ بك ما ارى فقال
له يا امير المومنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة مغبة فصغرت عندي
زهرتها وذهبت حلاوتها فوجدت من مرارتها واستوى عندي ذهبها
وفضتها وجوهرها واثوابها واحجارها ولاني بينما عندي وكاني انظر
الى عرش ربي والناس يساقون زمرا زمرا فريق في الجنة وفريق في السعير فاظمات
لذلك نهاري واسهرت لذلك ليلي وقليل صغير ما انا فيه في ثواب الله وشدة عقابه
فبينما هو يعظه نفعت ما حيها وذكر عن قوم انهم مروا على عابد
وكان من المجتهدين في العبادة فراوا ما يصنع بنفسه من شدة اجتهاده وكثرة
خوفه فكلموه في ذلك فقال وما هذا عند ما يراد بالخلق من شدة ملاقاة الاهوال
ومع ذلك غافلون كانهم لا يعقلون عاكفون على حظوظ انفسهم من الدنيا ونسوا
فخيم الاكبر من ربهم فبكى القوم جميعا وذكر في الخبر ان قوما مسافرين مشوا
على طريق فاخطئوا الطريق وضلوا عنها فخرجوا على راهب منفرد عن الناس في
صومعته فنادوه فاشرف عليهم براسه فقالوا له يا راهبا انا قد ضللنا واخطانا
الطريق وتلفنا عن الطريق قد لنا على الطريق بيده واشار براسه الى السماء فعلم
القوم ما اراد فقالوا يا راهبا انا سائلوك عن شيء فهل انت مجيب فقال لهم
اسألوا ولا تكثروا فان النهار لا يرجع والعمر لا يعود والطالب حثيث فوا جتهادا

فعجب

فعجب القوم من كلامه فقالوا له يا راهب ما هم الخلق عليه غدا عند مليكهم فقال
على نياتهم فقالوا له اوصنا فقال تزودوا على قدر سفركم فان خير الزاد ما بلغ
المحل ثم ارشدهم على الطريق وذكر عن عبد الواحد ابن زيد انه قال مررت
بصومعة راهب من رهبان الصين فناديته يا راهب فلم يجبني ثم ناديته ثانية
فلم يجبني ثم ناديته ثالثة يا راهب فاشرف علي براسه وقال لي يا هذا ما انا براهب
وانما الراهب من رهب الله في سمائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضي بقضائه
وحمد الله على الائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته وذل لعزته واست
واستسلم لقدرته وخضع لمهابته وتفكر في حسابه وخاف من عقابه
فنهاره صائم وليله قائم قد اسهره خوف النار ومسايلة الجبار فهذا
هو الراهب واما انا فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس لئلا اوذيهم
فقلت له يا راهب ما الذي قطع الخلق عن الله بعد ما عرفوه فقال لي يا اخي انما قطع
الخلق عن الله بعد ما عرفوه حب الدنيا وزينتها لانها محل المعاصي والذنوب
والعاقل من رمى بها من قلبه وتاب الى الله من ذنبه واقبل على ما يقربه من ربه
فعند الصباح يحمد القوم السرى وعند الممات يحمد القوم التقى وذكر في
الخبر عن داود عليه السلام انه قال الاهي من يسكن حظيرة قدسك ومن تقبل الصلاة
فاوحى الله اليه يا داود انما يسكن حظيرة قدسي وانما اتقبل الصلاة ممن تواضع لعظمتي وقطع
نهاره بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي يطعم الغريب ويرحم المصاب
فذلك الذي يضيء نوره في السماء كالشمس اذا دعاني لبيته واذا سالني اعطيته
اجعل له في الجهل حلما وفي الغفلة تذكرا وفي الظلمات نورا وانما مثله في الناس
كالفردوس في الجنان وذكر عن منصور بن عمار انه قال طوبى لمن اصبحت العبادة
حرفته والفقر امنيته والعزلة شهوته والاخرة همته والموت فكرته وطلب
من العيش بلغته وشغل بالزهد نفسه وامات بالذل عزته وشكى الى الله
غربته ورجى بالتوبة رحمته طوبى لمن كانت هذه حالته وذكر عن يزيد الر
الرقاشي انه كان اذا حان وقت افطاره توضع بين يديه فرصة فيبكي في العرض

Copyright © King Saud University